# كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ

## رئيس الجامعة

## جامعة القدّيس يوسف

## والمئويّات الثَّلاث

لمناسبة عيد القدّيس يوسف

الثُّلاثاء ١٩ آذار ٢٠١٣

أصحاب السّعادة،

السّادة رؤساء الجامعات في لبنان،

السيّدات والسّادة نقباء المهن الحرّة،

السيّدات والسّادة أعضاء مجلس أمناء الجامعة،

السيّدات والسّادة نوّاب الرّئيس، والعمداء والمدراء والمديرات،

السيّدات والسّادة المعلّمين،

السيّدات والسّادة ممثّلي موظّفي الجامعة،

السيّدات والسّادة مندوبي الطلاّب،

السيّدات والسّادة رؤساء اتّحاد وجمعيّات الخرّيجين،

أيّها الأصدقاء،

## (المقدّمة)

**١**. إنّه لمن واجب القلب أن يرحّب بكم جميعًا، لمناسبة عيد جامعة القدّيس يوسف الثامن والثلاثين بعد المئة. وفي قلب العيد هذه السنة عيد، ذلك أنّنا نحتفل بمئويَّة ثلاث كلّيّات مقدامة، وهي الكليّات الأُوَل التي عرفت "بالمدنيّة" في جامعة القدّيس يوسف، على حدّ تعبير المأسوف عليه الرئيس الأب جان دوكرويه[١]: كليّة الطبّ بأعوامها الثلاثين بعد المئة، وكليّتا الحقوق والهندسة اللتان تتمّان مئويّتهما الأولى. ويقضي واقع الحال أن نتذكّر مؤسّسي الكلّيّات الثلاث هذه، كما نتذكّر أيضًا المسؤولين الذين تعاقبوا فيها على مدى الأعوام من أجل أن يبلغوا بها الأهداف المرجوّة، بالرغم من الصعوبات التي عرفها القرن الماضي، كما عرفتها بدايات الألفيّة الثالثة. وصحيح أنّ الوجوه تتبدّل وأنّ الأشخاص يتبدّلون، كيف لا، وها هو رئيس جديد يقف أمامكم خلفًا لسابقٍ، في ما يشبه سلسلة مؤلّفة من خمسة وعشرين رئيسًا منذ العام ١٨٧٥ سنة تأسيس الجامعة. إلاّ أنّ الروح والقلب والإرادة في المضيّ قدمًا بقضيّة جامعتنا تبقى هي هي، وتنتقل من جيلٍ إلى جيل. وبهذا المعنى، إنّه لمن واجبي أن أتوجّه إلى سلفي البروفسور رينيه شاموسي اليسوعيّ، الرئيس الفخريّ، كي أنقل إليه عرفاننا لأنَّه سلّم مشعل الجامعة في أجواء مميّزة، كما من واجبي أن أعبّر عن عميق تقديري للبروفسور سليم عبو اليسوعيّ، الرئيس الفخريّ، الذي أعطى الجامعة زخمًا ما زلنا نشعر بارتداداته حتّى أيّامنا.

---

(١) جان دوكرويه اليسوعيّ، **الدوافع الأولى في تأسيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت**، الفدراليّة الدوليّة للجامعات الكاثوليكيّة، أعمال الندوة حول الجامعة والكنيسة والثقافة : الجامعات الكاثوليكيّة في العالم (١٨١٥-١٩٦٢) المعهد الكاثوليكيّ في باريس (٢٣-٢٥ نيسان ٢٠٠١)، (http://www.fiuc.org/cms/LIVREALL/Hurtubise%202.pdf)؛ راجع الصفحات ١٥٥ – ١٧٦.

**(معنى الاحتفال بالمئويَّة: العودة إلى الماضي بغيةَ فهم الحاضر بشكلٍ أفضل)**

**٢**. أيّها الأصدقاء، إنّ الموضوع الذي فرض نفسه بشكلٍ شبه طبيعيّ هذه السنة هو الاحتفال بالمئويّات الثلاث.

ومن أجل أن نعطي المئويّات الثلاث التي نحتفل بها معناها، فإنّه لمن المفيد أن نعرّج قليلاً على الماضي الذي لا يمكن حصره بسهولة. فنحن نعلم أنّ اليسوعيّين، وبناءً على طلب بطريركَيْن أحدهما على طائفة الروم الملكيّين، والآخر على الطائفة المارونيّة آنذاك، قد عادوا إلى جبل لبنان العام ١٨٣١، بهدف أن يطلقوا الإعداد العالي لرجال الدِّين المحليّين. وكانت مشاريع متعدّدة لتأسيس إكليريكيّة تجمع مجمل الكنائس الكاثوليكيّة في المنطقة، إلاّ أنّ واحدًا منها لم يصل إلى هدفه حتّى العام ١٨٧٥. ويذكر من بين هذه المشاريع، المدرسة المركزيّة لآسيا في العام ١٨٣٨ الذي تولاّه الأب مكسيمُس ريلو، وذلك نظرًا إلى الأسباب التي دفعت إلى قيامه وتُلخَّص بهذه الكلمات العائدة إلى جان دوكرويه: "*إنّ الوسيلة التي استعملها الكرسيّ الرسوليّ من أجل إقامة الإيمان الكاثوليكيّ، ومن أجل تقويته، أو إقامته من جديد، كانت دائمًا تربية الشبيبة، لا سيّما الإكليريكيّة منها، واليوم تدخل الإمبراطوريّة العثمانيّة عصر الحداثة والتحرير، فهذه المنطقة هي بتصرّف من يعرف أن يكون سيّد التربية فيها، لقد فهم البروتستانت هذه الحال وانصرفوا إلى العمل بوحيها*"[٢]. ففي هذا السياق صار ليسوعيّي الإرساليّة الثانية في لبنان رؤية تقول بأن يؤسّسوا، بناءً على نداء السلطات في روما من جهة، كليّات "كنسيّة" من أجل قطع الطريق على تقدّم البروتستانت الذين حلّوا في بيروت بواسطة الجامعة السوريّة الإنجيليّة التي أسّست منذ ١٨٦٦ دروسًا "متنوّعة"، ثمَّ أسّست العام ١٨٦٧ كليّة طبّ تحوّلت العام ١٩٢٠ إلى الجامعة الأمريكيّة في بيروت؛ وأن يؤسّسوا من جهة أُخرى كليّات "مدنيّة"

(٢) دوكرويه، **الدوافع**، ص. ١٥٧.

فكانت الأولى منها كليّة الطبّ التي لمعت فكرة تأسيسها العام ١٨٧٢، وتلتها كليّتان أخريان: الحقوق والهندسة. أمّا في ما خصّ القطب الكنسيّ فقد تألّف، بالإضافة إلى الإكليريكيّة الشرقيّة لإعداد الكهنة من مختلف الكنائس الكاثوليكيّة، من كليّتين اثنَتَيْن: الأولى هي كليّة اللاهوت، والثانية كليّة الفلسفة. ولا تغيب عن بالنا الكليّة الشرقيّة، والمكتبة الشرقيّة التابعة لها حيث كانت تُدرَّس اللغات التي يحتاج إليها فهم الكتاب المقدّس والشرق. وهكذا من خلال هذه الكليّات ولدت "روحيّة جامعة القدّيس يوسف" وتطوّرت، وهي تقوم على خدمة الجميع، وعلى تحسين الوضع الإنسانيّ والانفتاح، كما تقوم هذه الروحيَّة على الصرامة والامتياز. وبما أنّ بنيان الحضارة يعلو عن طريق ثلاث وظائف اجتماعيّة وهي: العلاج ويقوم به الطبيب، والدفاع ويؤدّيه رجل القانون، والبناء ويحققه المهندس فإنّ إنشاء الكلّيّات المدنيّة الثلاث، جاء جوابًا عن حاجات اجتماعيّة أساسيّة. الكليّات المدنيّة الثلاث تشكّل، بالإضافة إلى الكنسيّة، التراث الجينيّ لجامعة القدّيس يوسف. وتشهد هذه الكليّات على انطلاقة واعدة، وعلى ولادة الجامعة، وأهل الاحتراف في المجتمع اللبنانيّ، كما تشهد على دخول لبنان التاريخ المعاصر. هذه هي روحيّة "جامعة القدّيس يوسف".

**(المحتفي بالعيد وواجباته الثلاثة)**

**٣**. أن نحتفي اليوم بهذه المؤسّسات فهذا يعني، في نظرنا، ثلاثة واجبات، من غير أن يغيب عن بالنا المغزى الذي نستخلصه، ألا وهي **واجب العرفان بالجميل، وواجب إعادة قراءة** ماضينا ليس متحفًا، بل بمثابة تجربة حياة والتزام، وفي نهاية المطاف **واجب الأمانة والاستمراريّة في الرسالة، والابتكار الذي يستمدّ المستقبل منه رؤياه.**

**(واجب العرفان بالجميل)**

**٤**. وها نحن اليوم، نسدّد دينًا علينا فنعترف **بواجب العرفان بجميل** هؤلاء الذين، ما بين ١٨٧٥ و١٩١٤، أسّسوا الجامعة. وتبرز لائحة أسماء لا نعرفها، أوْ نكاد نعرفها، من رؤساء اليسوعيّين، ورؤساء الجامعة، أمثال كزافيه غوترلي الذي أدرك الأهميّة المركزيّة التي تتّخذها مدينة بيروت، وذلك في العام ١٨٧٠ فطلب بنقل المعهد والإكليريكيّة من غزير إلى بيروت، وأمبرواز مونو الذي، على جهله اللغة الإنكليزيّة، نجح لدى كاثوليك الولايات المتّحدة الأميركيّة في جمع ملايين وافرة من الدولارات، ما بين ١٨٧١ و١٨٧٥، وذلك من أجل شراء قطعة الأرض في بيروت، وتشييد الأبنية التي أصبحت لاحقًا جامعة القدّيس يوسف، والمعهد الثانويّ التابع لها. ثمَّ يأتي ريمي نورمان اليسوعيّ الفرنسيّ الذي لم يدّخر جهدًا فيؤدّي به الأمر، العام ١٨٨١، إلى تحقيق فكرته في إنشاء مدرسة الطبّ التي بدأ التدريس فيها فعليًّا العام ١٨٨٣، وتحوّلت المدرسة إلى كليّة العام ١٨٨٨. ويروي جان دوكرويه قصّة تأسيس كليّة الطبّ بالكلمات التالية (وأنا أقتبس منه): *"إنّ أمنية اليسوعيّين في تأسيس كلّيّة الطبّ ببيروت، تعود أقلّه إلى العام ١٨٧٢، ولكن الفضل في تحقيق الأمنية يعود إلى ريمي نورمان الذي عُيّن رئيسًا للجامعة في العام ١٨٧٦. ومن أجل ذلك كتب في ٨ آب ١٨٨٠ تقريره الشهير الذي رفعه إلى الحكومة الفرنسيّة، وتطرّق فيه إلى الحاجة في بيروت إلى تأسيس مدرسة الطبّ (...)"* [٣]. ودعم طلب نورمان كلّ من قنصل فرنسا في بيروت، والملحق العسكريّ الفرنسيّ في القسطنطينيّة الذي حدّث ليون غامبيتا بالأمر، فكان أن تلقّى في ٢ حزيران ١٨٨١ من وزير الخارجيّة الفرنسيّ سان هيلار، ردًّا إيجابيًّا يقول بمنح الآباء اليسوعيّين في بيروت، مبلغًا ضخمًا، مساهمة من فرنسا في إنشاء المدرسة العُليا للطبّ إلى جنب المدرسة الثانويّة التابعة لجامعة القدّيس يوسف، وهي المدرسة التي تحوّلت في ما بعد إلى مدرسة سيّدة الجمهور في العام ١٩٥٢. وكيف لنا ألاّ نقدّم التحيّة أمانة منّا لهم وعرفانًا بجميلهم، إلى هذه اللائحة الطويلة من اليسوعيّين

(٣) جان دوكرويه، **قرن من التعاون الفرنسيّ اللبنانيّ في خدمة مهن الطبّ**، منشورات جامعة القدّيس يوسف، ١٩٩٢، ص. ٣.

العمداء: مرسيل أوتوفاج، ولوسيان كاتان السويسريّ الذي أسّس مستشفى أوتيل ديو دو فرانس، وكلوديوس شانتور القويّ البنية والواسع المعرفة، كذلك الحال في ما خصّ السادة الأساتذة أمثال الآباء بول سولارن، ليون فنسان، هيبوليت مرسيليّه، ميشال غوتيه، موريس كولونجيت الشهير، جان كورسيه، جوزيف لوازليه، يليهم من قدّر لنا أن نعرفهم أمثال الآباء فرنسوا دوبريه–لاتور، بيار هرتمان، كلود مجاسّون، جان دو غيرميه، ألبان دو جرفانيون، هنري كترر، وبيار ماديه. إنّه لفرض علينا كذلك أن نقدّم التحيّة إلى ذكرى الأساتذة العلمانيّين الذين أفرحوا الكليّة بحضورهم، والذين احتلّوا مناصب رؤساء الأقسام، أمثال السّادة الأطبّاء إيليزيه سينيس، هنري نيغر، هيبوليت دو بران، موريس هاش، مرسيل أودينو، أوجين كاربونيّه، أوراست لانغاد، سامي كوري، وغيرهم من الذين بنوا مهن الطبّ والحقوق والهندسة في لبنان والشرق الأدنى. وإذا كانت كليّة الطبّ وبرنامجها التعليميّ في الصيدلة قد تأسّسا على أيدي روّاد أعطوا الشراكة بين فرنسا ولبنان معناها، هذه الشراكة التي تحظى بكلّ تقديرنا، فإنّ روّادًا آخرين في الحقوق والهندسة اشتغلوا على النمط نفسه في العام ١٩١٣، في زمن كانت العلاقات بين العثمانيّين والغربيّين تتدهور من سيِّئ إلى أسوأ، وكانت فيه كذلك فكرة لبنان المستقلّ والمعاصر تبدأ بشقّ طريقها. هنا أيضًا، حلم اليسوعيّون بتأسيس المدرستَيْن اللتَيْن تحوّلتا بعد زمن إلى كليّتَيْن، وذلك أنّ ما تحقّق من رؤيا مستقبليّة، من شأنه أن يقود إلى رؤيا أُخرى، من أجل أن يذهبوا إلى الأبعد في رسالتهم التربويّة، وقتَ كانت الحاجات ماسَّة في مجال التعليم ببيروت عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين. إلاّ أنّ في هذا المسعى الهادف إلى تأسيس مزدوج، ظهرت الكثير من الصعوبات التي حالت دون تحقيقه. فالحكومة الفرنسيّة كانت ترغب في تأسيس مدرسة فرنسيّة للحقوق، ومدرسة للمهندسين، وكان اختيارها قد وقع على بيروت، وكان من شأن الإرادَتين أن تلتقيا في تأسيس مشترك كما كانت الحال في مدرسة الطبّ التي تدعمها فرنسا والتي تعمل ضمن الاحترام المتبادل بين المرجعيّتَيْن. إلاّ أنّ الشروط التي وضعتها جمعيّة ليون من أجل تطوير التعليم العالي التقنيّ في الخارج، ومن نواتها معارضو

الإكليروس، تضاف إليها وزارة التعليم العامّ الفرنسيّ التي وقّعت رهينة تصويت نيابيّ همّه إلحاق التعليم بالدولة الفرنسيّة، لم يقبل بها اليسوعيّون. وتفصيل الشروط أنّ أسماء الأساتذة اليسوعيّين لن يكون من المسموح أن تظهر على الأوراق، كذلك فإنّ المدير كانت ستعيّنه الوزارة، وكان للرئيس اليسوعيّ أن يهتمّ بالأمور الإداريّة فيما كانت المصاريف ستخضع للتفتيش الخارجيّ. رفضت السلطات اليسوعيّة الرسميّة بصوت الأب كاتان تلك الشروط مشدّدة على الحاجة إلى الحدّ الأدنى من الحريّة. وتأجّل توقيع الاتّفاقيّة. ولم يتزحزح اليسوعيّون حتّى عشيّة إطلاق الدروس، وكان لتدخّل بول هوفلين وهو علمانيّ يمثّل جمعيّة ليون أن يطمئن اليسوعيّين، وأن يجد الحلّ الملائم، فأعاد لرئيس المدرسة الدور الذي سلبوه إيّاه، ووعد بأن تظهر أسماء المعلّمين اليسوعيّين، وبأن تُقدَّم ترشيحات المعلّمين العلمانيّين إلى رئيس المدرسة. ويُعتَبر بول هوفلين مؤسّس مدرسة الحقوق العلمانيّ، وتناوب مدراء المدرسة العلمانيّون منذ ١٩١٣ إلى ١٩٦٣. وأُلقيت في ١٤ تشرين الثاني محاضرة الافتتاح بحضور ٣١ طالبًا جاؤوا من بيروت، وجبل لبنان، ومن المناطق السوريّة. ولا يشير هذا التاريخ في تواريخ الجامعة وكليّة الحقوق إلى مجرّد تاريخ أو رقم بين عدّة تواريخ، بل يجسّد روح التعاون والقدرة على التفاهم بين أمزجة متباينة، وبين اقتناعات شبه متعارضة تدفعها من جهة رغبة اليسوعيّين في مواصلة تأسيس جامعتهم وكليّاتها المدنيّة، ومن جهة أخرى رغبة الفرنسيّين في أن يكونوا حاضرين عبر رهبنة مشهود لها بالرصانة والعزم. في ما خصّ كليّة الهندسة التي تأسّست العام ١٩١٣، فواجب العرفان بجميل المؤسّسين يتبع المسار عينه، طالما أنّ روح التعاون والتفاهم سادت عند تأسيس الكلّيّة بين اليسوعيّين من جهة والعلمانيّين الليونيّين من جهة أُخرى. ويعود الفضل في ذلك إلى بول هوفلين وكلاوديوس شانتور، وقد أفادا من الأخطاء التي ارتُكبت عند تأسيس مدرسة الحقوق، فأوجدا أرضًا مشتركة تصلح مستقبلاً لبناء المدرسة الفرنسيّة للمهندسين، فهما بمثابة "عمالقة الصناعة"، بحيث لا يمكن أيّ مؤسّسة تجاريّة كما لا يمكن أي تطوّر أن يتجاهلهم. ومن أجل أن تعرف الجامعة كما الكليّات المئويّة الثلاث لمن عليها أن تعبّر عن عرفانها بجميلهم، فأنا

أقول إنّه إذا كانت الأمانة يجب أن تكون للأفكار والقِيَم، وإذا كان يجب التعلّق بالصروح المبنيّة من الحجر والتي لها قيمتها، والتي يسكنها التاريخ ويتابع تطوّره فيها، فإنّه لمن الحاجة بمكان إلى أن تظهر هذه الأمانة حيال الأشخاص الذين صنعوا ويصنعون اليوم الجامعة، هؤلاء الأشخاص المقتنعون بأنّ ما قاموا به، إنّما قاموا به من أجل الخير العميم، ومن أجل تحقيق القِيَم السامية. فكيف لا نوجّه التحيّة، عند هذا الحدّ إلى عمل الجمعيّة الليونيّة وإلى جامعة ليون اللتين كانتا المشاركتَيْن في تأسيس كلّيّة الحقوق، وكلّيّة الهندسة، إلى جانب الآباء اليسوعيّين الذين ساهموا مساهمة فعّالة في إرساء البنى الجامعيّة في كلّيّتيهما؟ وكيف لا نذكر عمل العلمانيّين من أمثال جول روفييه الذي أيّد تأسيس كلّيّة الطبّ؟ ونحن سنكون أمناء حيالهم عندما نشاطرهم طموحهم، ونعيش ما عاشوه ونطبّق القِيَم التي قالوا بها فلا يقدر عليها النسيان. ولهذا ندعم روح الانتساب إلى مؤسّستنا الجامعيّة الكبرى. إنّ هؤلاء المعلّمين أسّسوا ما رغبوا في تأسيسه، وأحبّوا ما أسّسوه: إنّهم المؤسّسون ويأتي بعدهم أولئك الذين أعادوا التأسيس وقد صنعوا جميعًا المؤسّسة التي تحميها الأنظمة والقوانين والشرعة، شرعة ١٩٧٥، هذه المؤسّسة التي يعترف بها التشريع اللبنانيّ (٢٦ كانون الأوّل ١٩٦١)، كما تحميها مقرّرات مجلس الوزراء التي تعترف بشهاداتنا كافّة. إلاّ أنّ ما يجب أن نكرّره هو أنّهم منذ البداية صنعوا مؤسّسة يحميها رجال ونساء أعطوا كلّ ما عندهم كي يتسنّى لجامعة القدّيس يوسف أن تخدم الخير العامّ، وأن تعمل في حقل تربية الشعوب.

**(واجب إعادة قراءة تاريخنا )**

**٥**. وإذا كان واجب الأمانة هو حاجة لدى جامعتنا اليوم، من أجل حيويّتها، فماذا نقول عن واجب آخر، واجب **إعادة قراءة تاريخنا** كي نحفظ منه النداءت والعِبَر من أجل مستقبلنا؟ ونحن نعلم أنّ إعادة القراءة هي أداةٌ من أدوات العدّة التي تشكّل روحانيّة مؤسّس اليسوعيّين إغناطيوس دي لويولا ومقاربته التربويّة. وكما هو معروف فإنّ "*مقاربته التربويّة تهدف إلى تطوير الإنسان، كلّ الإنسان. وهي تتضمّن تكوينًا يشمل كوكبة من*

*القِيَم: الاحترام، والانفتاح على الآخرين، وتقاسم المواهب، والصدق في المواقف والإرادة. وتتضمّن أيضًا إعادة قراءة المعيوش الذي يأخذ بالاعتبار التجربة الشخصيّة، أو تجربة الجماعة بغية استخلاص العِبَر وجني المكاسب. وهذا التفكير في التجارب الشخصيّة هو بمثابة نقطة الدائرة في هذه المقاربة"* (٤). من أجل هذا، وبما أنّنا مؤسّسة جامعيّة تحمل الشعار اليسوعيّ، فنحن مدعوّون إلى تمرين واجب إعادة القراءة. ولكن نعيد قراءة ماذا؟ وأيّ ماضٍ وأيّ معطيات من الماضي؟ وأرغب في هذه الكلمة في أن أشدّد على مظهرَيْن طبعا ماضينا وهما: من جهة الدوافع الأولى التي رافقت تأسيس كلّيّاتنا الثلاث وسوّغته، ومن جهة ثانية بعض الاختيارات التي اتّخذناها في العام ١٩٧٥. وفي محاولة لإتمام التحليل الذي قام به جان دوكرويه في كتابه بعنوان **قرن من التعاون الفرنسيّ اللبنانيّ في خدمة المهن الطبيّة** بوسعنا أن نعدّد عدّة دوافع كانت في صلب قرار تأسيس الكلّيّات الثلاث التي نحتفل بها اليوم. وهي ستّة: **خدمة الشبيبة، وتكوين المهنيّين، وتحسين المجتمع وتطويره، وخدمة الخير المشترك العامّ، والدفاع عن الكاثوليكيّة والإيمان الكاثوليكيّ، ونشر الفرنكوفونيّة وخدمة بلدان الشرق الأدنى**(٥). وهذه الدوافع مجموعة كتابيًّا في مستندات تلك الحقبة، ولكنّ العمل الجامعيّ أدّى إلى نتائج متعدّدة منها: التكوين على التميّز الفكريّ والخلقيّ، والاقتناع بوحدة الحال بين التعليم والبحث، وإقامة نظام مدنيّ للحريّات والتعدّديّة السياسيّة والاجتماعيّة، والأثر الظاهر في الدستور اللبنانيّ، وتحديث مدينة بيروت في نموّها، بما فيه الدّعم غير المباشر لنهوض لبنان الحديث. وأنتم بلا شكّ لاحظتم أنّ لفظة خدمة إنّما هي مرتبطة بسبب وجود المؤسّسة. إذ إنّ المؤسّسة تستمدّ ريادتها من إمكانيّاتها في أن تكون في خدمة قضيّة سامية كمثل قضيّة تربية الشبيبة. وأنتم توافقونني الرأي عندما أقول الخدمة هي القياس الذي به نقيس سموّ رسالة جامعة القدّيس

---

(٤) دونيس دولبر اليسوعيّ، **في التعليق على خصائص مقاربة إغناطيوس دي لويولا التربويّة** (http://www.cndp-erpent.be/pedagogie%20jesuite.htm).

(٥) يحصرها جان دوكرويه بأربعة في كتابه : **قرن من التعاون الفرنسيّ اللبنانيّ في خدمة المهن الطبيّة**، منشورات جامعة القدّيس يوسف، ١٩٩٢، ص. ٥.

يوسف ونبلها. ونحن لا نخجل في أن نؤكّد أنّ جامعتنا هي في خدمة قضيّة، قضيّة التربية على الحريّة وعلى الابتكار، وهي كذلك إعداد الرجال والنساء في خدمة الآخرين من أجل لبنان أفضل وعالمٍ أفضل.

**(خدمة الشبيبة)**

٦. وسنتوقّف على بعض الدوافع من بين تلك التي أشرنا إليها سابقًا، كأن نتوقّف بداية على **خدمة الشبيبة** وقد ظهرت من خلال مفردات اختارها العام ١٩٣٠ واضع تاريخ جامعة القدّيس يوسف على شاكلة رواية، لمناسبة المئويّة الأولى لحضور اليسوعيّين في الشرق الأدنى (١٨٣١-١٩٣١). فلاحظ أنّ غياب المعاهد العُليا إنّما هو خسارة في أوساط الشبيبة وقال: "*يخفّض النقص في فرص الاحتراف، عندما ينهي الشابّ مرحلته الثانويّة، من قيمة ما حصّله في مرحلة تعلّمه، كما يقلّل من اندفاعه في التّحصيل. ويحدّ من التأثير المسيحيّ الذي يمكن المعهد أن يمارسه على المجتمع، لأنّه يحبس في حدود ضيّقة تأثير الخرّيجين المميّزين الذين كوّنهم*"[٦] وحثّ هذا النقص اليسوعيّين والفرنسيّين على تحسين مستوى التعليم العالي في كلّ المجالات عندما افتُتحت ما بين ١٨٧٥ و١٩١٣ عدّة كليّات كنسيّة ومدنيّة لكي تستقبل التلامذة الذين أنهوا المرحلة الثانويّة، وقد جاؤوا ليس من بيروت فحَسْب، بل من جبل لبنان والعديد من المدن الأُخرى أمثال حلب ودمشق وبغداد والقاهرة والقدس. ولكم قدّرتُ عندما كنتُ أراجع قصّة تأسيس كليّة المهندسين شهادة السيّد ريغُللو، وهو أحد أعضاء الجمعيّة الليونيّة، وقد زار بيروت قبل تأسيس كليّة الهندسة، ليتأكّد من مستوى الشبيبة اللبنانيّة العلميّ ومن مستوى المدارس. وزار من أجل ذلك مدرسة الليسه التابعة للإرساليّة العلمانيّة، ومعهد جامعة القدّيس يوسف الثانويّ، والمدرسة البطريركيّة، ومدارس الفرير والحكمة وعينطورة والمدرسة الإسرائيليّة. وقد صرّح بعد أن سأل التلاميذ في هذه المؤسّسات أنّ "*هؤلاء التلاميذ ليسوا أقلّ مستوى من رفاقهم في*

(٦) **اليسوعيّون في سوريا (١٨٣١-١٩٣١)**، لوحة عن كليّة الطبّ، ص. ٢٠.

*فرنسا*" [٧] وتأكّد من مدراء الشركات من أنّ الشهادات التي يحملها الطلاّب إنّما "*تحظى فورًا بظروف عملٍ فضلى*". ويورد الأب جوليان الذي ذكرناه سابقًا تقارير التفتيش الفرنسيّ التي وردت فيها شهادة واضحة تقول: "*يبدو أنّ الطالب الوسط في بيروت يتفوّق على الطالب الوسط في كثير من كليّات الطبّ الفرنسيّة*"[٨].

**(الإعداد المهنيّ)**

**٧**. وإذا كان افتتاح آفاق جديدة أمام الشبيبة بعد المرحلة الثانويّة يشكّل هدفًا أوّليًّا يجب الوصول إليه، وقد تمّ بلوغُه، فإن **الإعداد المهنيّ** كان هو أيضًا سببًا كافيًا لتأسيس كلّيّاتنا الثلاث. ولعلّ النتائج هي خير دليل. فقد حاز ما يقارب ٢٨٩٠ طالبًا على شهادة الطبّ ما بين ١٩١٣ و١٩٨٦، يضاف إليهم ٢٠٠٠ آخرون ما بين ١٩٨٤ حتّى أيّامنا، وحاز ٣٨٥٠ طالبًا على شهادة الهندسة ما بين ١٩١٣ و١٩٨٦ يُضاف إليهم ٢٦٠٠ آخرون ما بين ١٩٨٦ حتّى أيّامنا، وحاز ما يزيد على ٤٧٠٠ طالبٍ شهادة الحقوق ما بين ١٩١٣ و١٩٩٣ يُضاف إليهم ١٠٠٠ آخرون ما بين ١٩٩٤ حتّى أيّامنا، ويُضاف إليهم أيضًا ألف طالب في العلوم السياسيّة من ١٩٢٢ إلى يومنا هذا. وتشير هذه الأعداد إلى أنّ المحصّلة في الإعداد المهنيّ جديرة بكلّ ثناء وتقدير. واشتغلت الكليّات الثلاث في ميدان التكوين المستمرّ، ذلك أنّ المئات من الموظّفين العثمانيّين والسوريّين واللبنانيّين تابعوا في الكليّات دروسًا خاصّة كلٍّ في ميدانه[٩]. ويسدّ هذا الإعداد المهنيّ الذي يستمرّ حتّى اليوم نقصًا أو انعدامًا، ذلك أنّ الأطبّاء الأوائل انتشروا مزوّدين بكفاءاتٍ عالية وقلوبٍ واسعة، في المدن والريف، محاربين الأمراض والكوارث من كلّ الأنواع، فحلّوا مكان المشعوذين القائمين بيننا حتّى اليوم، الذين استغلّوا الناس. وصحيح أنّ بعض الأطبّاء يفضّل أن يسكن في فرنسا أو في أوروبا، إلاّ أنّ الأكثريّة منهم تبقى في

---

(٧) جان دوكرويه، **الكتاب الذهبيّ ١٩١٩–١٩٩٩**، كليّة الهندسة، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، ١٩٩٩ ص. ١١.

(٨) **اليسوعيّون في سوريا، ١٨٣١ – ١٩٣١**، اللوحة عن كليّة الطبّ، ص. ٣٩.

(٩) جان دوكريه، **الكتاب الذهبيّ ١٩١٩–١٩٩٩**، كليّة الهندسة، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، ١٩٩٩ ص. ١٩.

البلد وتعمل في خدمة علم الصحّة والصحّة العامّة. أيّها السّادة الأطبّاء في كلّيّة الطبّ، القدامى والجدد، فكّروا دومًا في هذه القصّة، فهي قصّتكم، وهي مصدر وحي عندكم. واصغوا إلى ما يقوله الأب الشهير والمعلّم موريس كولونجيت في مذكّراته العام ١٩٠٨ عن كلّيّتكم وشهاداتها: "*في سورية، في جبال لبنان، فإنّ تأثير قدامى الكلّيّة ظاهر. فهم لا يشفون المرضى فحَسْب، ولكنّهم يرسّخون مبادئ علم الصحّة ويحاربون المعتقدات الشعبيّة وأعمال الشعوذة، ويساهمون في رفع مستوى التفكير عند الطبقات القرويّة*"(١٠).

٨. فيا أيّها القدامى، وأنتم بيت القصيد: إنّ كلّيّاتنا الثلاث حافظت إبّان وقت طويل على العلاقات القويّة بجماعة خرّيجيها المحترفين، وهم الروّاد في ميادينهم، والكلّيّات لم تتوقّف، على درجات مختلفة، عن النظر إلى القدامى على أنّهم الشركاء الحيويّون المتضامنون مع مؤسّساتهم، وهي تفتح صدرها لحملة الشهادات الجدد تمامًا كما استقبلت القدامى. وقد تحوَّل القدامى إلى سفراء يحملون القِيَم وينشرونها وهم اكتسبوها في سنوات دراستهم. ولقد تذّكر الناس طويلاً الدفعات الخمس عشرة الأُوَل من المهندسين الذين أكبّوا على إعادة بناء وتطوير البنى التحتيّة العامّة في المرافئ، وسكك الحديد، والمرافق المائيّة، والأشغال العامّة، والمدارس والمستشفيات، فكانوا بمثابة الدعائم لمدرسة الهندسة التي تبقى راسخة في ذاكرة لبنان والمنطقة. فقصّة الهندسة في هذه المنطقة هي أنتم أيّها السّادة المهندسون، إنّها مدرستكم المعروفة بالمختصر الغربيّ ESIB أيْ المدرسة العُليا لمهندسي بيروت التي يعود إليها شرف كتابة هذه القصّة. أمّا حقوقيّو المدرسة الفرنسيّة للحقوق التي صارت كلّيّة الحقوق في جامعة القدّيس يوسف العام ١٩٤٨، فهم الورثة الجديرون لمدرسة بيروت الحقوقيّة القديمة وقد تحوّلت إلى كلّيّة إمبراطوريّة، فكانت طيلة القرن الثاني وحتّى القرن السادس مقرّ الإيداع والإعلان عن القوانين والدساتير الإمبراطوريّة المتعلّقة بمناطق الشرق، كما كانت مركزًا لتعليم الحقوق، على حدّ ما ذهب إليه القدّيس غريغوريوس التوماتورج. وكان أولبيانُس المولود في صور وبابينيانُس وأصله من حمص، وهما حقوقيّان شهيران ينتسبان إلى روما، قد شجّعا

(١٠) موريس كولونجيت، **كليّة الطبّ، ١٨٨٩–١٩٠٨**، المطبعة الكاثوليكيّة، ١٩٠٩، الخاتمة.

إنشاء المدرسة، وأعلنها الرئيس ليبانُس "بيروت أمّ الشرائع". وكان على المدرسة الفرنسيّة للحقوق أن تستعيد هذا التقليد، وأن تطبع إلى الأبد قصّة الحقوق في هذا البلد وفي منطقة الشرق الأدنى بأكملها، فتؤمّن انتقال التشريع والاجتهاد الفرنسيَّين على حدّ سواء إلى لبنان، من أجل الوصول إلى طريقة تستند إلى المقارنة، فتمّ العمل أوّلاً على وضع قانون الموجبات والعقود، وصدر العام ١٩٣٢، وتلاه قانون الإجراءات المدنيّة وصدر العام ١٩٣٣، فقانون التجارة وصدر العام ١٩٤٣، وقانون الجزاء وصدر العام ١٩٤٣، وقانون العمل وصدر العام ١٩٤٦، وقانون الإجراء الجزائيّ وصدر العام ١٩٤٨، وكلّ هذه النصوص مستوحاة من النصوص الفرنسيّة، لكنّها كانت مكيّفة مع الحالة اللبنانيّة. وكيف لا نذكر مبادرة مجلس هذه الكلّيّة ورئيسه الفرنسيّ أنطوان مازاس في تأسيس الإجازة اللبنانيّة في الحقوق العام ١٩٤٤ التي بحسب ما جاء على لسان الأب دوكرويه "*أصبحت حاجة من أجل الوصول إلى بعض الوظائف العامّة ومن أجل ممارسة مهنة المحامي*" فحوّلت الحكومة هذه المبادرة إلى قانون[١١]. وكان للتكوين في الحقوق ان يستأثر بالمدينة، ويشدّ المجتمع إليه، كيف لا وقد وضع أربعة من قدامى الكلّيّة، الذائعي الصيت، وهم ميشال شيحا، وناجي أبو صوّان، وسليم تقلا، وشكري قرداحي الدستور اللبنانيّ. فالدستور في رأي تقلا ليس مجرّد مجموعة نصوص، بل عمل خلق دولة القانون. ولن نتوقّف على مسيرة الاستقلال الطويلة التي ساهم فيها عدد لا يستهان به من قدامى جامعة القدّيس يوسف وباختصار، فإنّ الكلّيّات المحتفلة بمئويّتها كانت في أساس إعداد أصحاب الاختصاص والمهنة الذين كان لهم أن ينقلوا المعرفة الجامعيّة والكفاءات المكتسبة في نهاية مسارهم الأكاديميّ، ولكي نستعمل تعبيرًا حديثًا، نقول في سلسلة من النتاجات التي تُعتبر أساس اقتصاد المعرفة، وهو الرأسمال الذي يفاخر به لبنان.

(١١) جان دوكرويه، **الكتاب الذهبيّ، ١٩١٣-١٩٩٣**، كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة والاقتصاديّة، جامعة القدّيس يوسف، ص. ٣٢.

**(التعليم والبحث)**

**٩**. وفي هذا السياق فليسمح لي أن أضيف أنّ التعليم الجامعيّ والإعداد المهنيّ يتماشيان مع البحث في هذه الكلّيّات، فيتشكّل هكذا الثالوث الذي يحدّد مهمّة جامعة القدّيس يوسف وهو يقومُ على: التعليم والإعداد، البحث، وخدمة المواطن والجماعة. وقد تميّزت كلّيّة الحقوق دومًا بالباحثين الكبار أمثال شكري قرداحي، مؤلّف **الحقوق وعلم الأخلاق** حيث يُقارب موضوعه من خلال مقارنة بين الحقوق الحديثة والتشريع الإسلاميّ في ضوء الأخلاق المسيحيّة والإسلاميّة. ويُعتبر شكري قرداحي مرجعًا في هذا الميدان وصاحب مدرسة. وبشارة طبّاع الذي ابتكر في أبحاثه مفهوم *التناسق*، وجعل منه الخيط المسيّر لكلّ الحقوق، وقد سعى في مؤلّفه **الحقوق السياسيّة والأنسنة** إلى أن ينسّق بين مبادئ التراث الإغريقيّ–اللاتينيّ والدِيانتَين المسيحيّة والإسلاميّة. وإميل تيّان المعلّم الشهير، ومؤلّف **تاريخ التنظيم القضائيّ في بلاد الإسلام**، و**تاريخ مؤسَّسات الشَّرع الإسلاميّ**، فكان أن صار وجهًا دوليًّا. إنّ هذه الأسماء وغيرها من أمثال أندره جيرفي، وبيار كاتلا، وجان باز، وبيار غنّاجه، وأنطوان فتّال ثبّتت بواسطة أعمالها الجبّارة مهمّة كلّيّة الحقوق مغذّيةً للقوانين، وطوّرت تقليدًا في البحث الأساسيّ والتطبيقيّ ما زالت تتحمّل مسؤوليّته حتّى أيّامنا أسماء لامعة[١٢].

وفي كليّة المهندسين، نعرف المكانة التي احتلّتها مختبرات الكيمياء الصناعيّة، والكهرباء، والتجارب الميكانيكيّة، وذلك أثناء الدروس المتنوّعة التي كانت تُعطى، وكيف أنّ هذه المختبرات وغيرها أيضًا تحوّلت على مرّ الزمن إلى وسائل اختبارات وقياسات تُستخدم في الأعمال الهندسيّة على اختلافها في لبنان وبلدان المنطقة. ويشير كتاب **قرن من تاريخ الرهبانيّة اليسوعيّة في الشرق الأدنى** إلى أنّ المختبرات في العام ١٩٣١ "*قد تلقّت*

(١٢) جان دوكرويه، **الكتاب الذهبيّ، ١٩١٣–١٩٩٣**، كليّة الحقوق ... ص. ٣٤–٤٠.

*مكمّلاً من العدّة وتجهّزت بشكل من شأنه أن يجري الاختبارات الصناعيّة الصرف"* [١٣].
ويُشار إلى مختبر تجربة الموادّ الشهير الذي قصده المهتمّون ألف مرّة ومرّة منذ تأسيسه.

أمّا في ما خصَّ كليّة الطبّ، فقد طوّرت منذ تأسيسها ولا سيّما بعد الحرب العالميّة الأُولى، سلسلة من المختبرات البحثيّة نظّمتها في معاهد تُعنى بمشاكل الكَلَب الجرثوميّة، ومجال البحث في الكيمياء، ومكافحة السرطان، وكانت هذه المختبرات رائدة في لبنان. وهذا التقليد المترسّخ في البحث في ميادين متعدّدة من الصحّة ما زال يتطوّر ليحتلّ المرتبة الأُولى في جامعتنا، وليلتقي والإرادة الصلبة في أن يكون في خدمة الصحّة العامّة عن طريق المعاهدات والاتّفاقيّات الثنائيّة مع السلطات الرسميّة المحلّية. ولا أرغب في الكلام على الدَور الرائد والمكانة العالية التي يحتلّها مستشفى أوتيل ديو دو فرانس الذي تأسّس من أجل الكليّة وعلى أيديها العام ١٩٢٣.

**(الدافع الدينيّ والكفاءات المهنيّة)**

**١٠.** ولن نتوقّف مطوّلاً على الدافع الدينيّ والكاثوليكيّ الذي كان يحرّك جمعيّة الآباء اليسوعيّين يومَ التأسيس، وعلى مرّ تاريخ جامعة القدّيس يوسف. فهذا الدافع لم يتأكّد على حساب الكفاءة واحترام المعرفة الأساسيّ الذي يشكّل الجانب الإنسانيّ فينا، وقد أخذ دومًا بعين الاعتبار العلمانيّين المتعاملين معنا، وأكاد أقول عنهم إنَّهم مؤسّسو المعاهد في جامعة القدّيس يوسف. لقد كان الهدف الأساسيّ بالطبع صدّ الإرساليّات البروتستانتيّة التي أسّست الجامعة الأميركيّة في بيروت، لكنّ تأسيس الجامعة كان بمثابة تنافس مثمر على تأسيس شبكات مدرسيّة وجامعيّة، وعلى تحسين المعارف والكفاءات، بعيدًا عن الإقصاء أو التشهير. وأرغب في تصوير هذا التنافس بنادرة منقولة عن الأب م. جوليان الذي تمّ الاستشهاد به سابقًا : *كان قسّ بروتستانتيّ في طريقه إلى صيدا، في أواخر القرن التاسع عشر، فسأله أحد أصدقائه عن سبب سفره. فأجابه: "أنا ذاهب لأفتح*

(١٣) **اليسوعيّون في سوريا**، الكتيّب الخامس، كليّة الهندسة، ص. ١٧.

*مدرسَتَيْن" . — "كيف اثنتين؟" — "نعم اثنتين. فما إن أفتح مدرستي حتّى يأتي اليسوعيّون ويفتحون مدرستهم"* (١٤). ومن جهة أخرى، حتّى إذا كان الأساتذة والطلاّب مدعوّين إلى الممارسة الدينيّة، فإنّ أيّ إجراءات تعسّفيّة لم تُتّخذ يومًا بحقّ من لم يستجب للدعوة. ونحن نعلم ذلك: إذا كان المسيحيّون يشكّلون آنذاك الأكثريّة بين طلاّب الكلّيّات والمعهد الثانويّ، فإنّ عدد الطلاّب المسلمين كان مهمًّا إلى حدّ أنّ الآباء اليسوعيّين اجتمعوا في بداية القرن التاسع عشر للبحث في التصرّف الذي يجب اتّباعه معهم، وفي حثّهم على تحسين معرفتهم بدينهم وممارستهم إيّاه. وأريد هنا أن أستشهد مرّة ثانية بالأب كولونجيت الذي يلخّص جيّدًا ما كان مطلوبًا إلى طلاّب الطبّ والذي يمكن تعميمه على الطلاّب كافّة حتّى في أيّامنا هذه: " *في مجموعة الطلاّب لا يحصر كلّ شيء بالحثّ على النشاط الثقافيّ وعلى المبادرة، عن طريق الامتحانات، والمكتبات المشرّعة الأبواب، والمحاضرات الحرّة. يجب أيضًا إعداد رجل الخير الذي على الطبيب أن يكونه. يجب الحفاظ على المبادئ الدينيّة، وتنمية الحسّ الخلقيّ، وبثّ عادة المحبّة. وقد تمسّكت إدارة الكلّيّة بشرف عدم التقصير بهذا الواجب*" (١٥). وفي هذا الإطار تستعيد شرعة جامعة القدّيس يوسف، التي كُتبت وجرى التصويت عليها في العام ١٩٧٥، هذه الحقيقة بتكليف الرهبنة اليسوعيّة بإحياء المؤسّسة من الناحية الروحيّة، وبالمطالبة بصرامة قصوى في إعداد الطالب خلقيًّا، وفي الحفاظ على تصرّف الجميع تصرّفًا لائقًا. ومن ناحية أُخرى، فإنّ نجاح العمل الجامعيّ المشترك بين الرهبنة اليسوعيّة وفرنسا المناهضة للإكليروس في الماضي، والعلمانيّة في الوقت الحاضر، مردّه إلى واقع، كما يقول الأب دوكرويه: "*وهو أنّ بعض الأهداف كان مشتركًا، كخدمة الفرنكوفونيّة، والحضور الاقتصاديّ الفرنسيّ، كما أنّ الأهداف الأُخرى لم تكن متناقضة. وبين الأهداف المشتركة يجب ذكر إنماء التعليم وخدمة الأساتذة؛ وبين الأهداف*

---

(١٤) ميشال جوليان، **رسالة اليسوعيّين الجديدة في سوريا**، جزءان، صدر العام ١٨٩٨، راجع الجزء الثاني، ص. ٢٦٥.

(١٥) هنري عويط في مجلّة الجامعة الفصليّة المعروفة بالاسم الغربيّ *USJinfo*، شباط ٢٠١٣، كولونجيت، ص. ١٦.

*الأخرى، يجب ذكر العلمنة المتحوّلة إلى حريّة الضمير*"[١٦]. أولا يُمكن أن نرى في هذه الجملة مقدّمة لما سيقوله السعيد الذكر، البابا يوحنّا بولس الثاني: "*إنّ لبنان أكثر من بلد، إنّه رسالة حريّة وتعدّديّة*"؟[١٧].

## (المؤسّسة الجامعيّة والخدمة العامّة)

**١١**. أودّ أن أنهي هذا الفصل عن واجبنا في إعادة قراءة بعض جوانب الزمن الماضي، وبخاصّة ما يتعلّق منها بكلّيّاتنا المئويّة، متوسِّعًا ببعض الإسهاب في ممارسة كاملة متشعّبة، مشدّدًا على أحد الدوافع إليها أو بالأحرى على إحدى نتائجها، وأقصد بذلك الصلة الحميمة بين تأسيس الكلّيّات الثلاث والإرادة في تقوية الخدمة العامّة، وإبراز الخير العامّ، والمساهمة في بناء الدولة اللبنانيّة بناءً متدرّجًا. فممّا لا شكّ فيه أنّ لبنان آنذاك كان بحاجة إلى عاصمة، لكي ينتظم دولةً ووطنًا، فكانت بيروت؛ وكان بحاجة إلى بنى تحتيّة، فكانت سلسلة من إنجاز مشاريع عمرانيّة مدنيّة مهمَّة في عهد الانتداب وفي بدايات الاستقلال، كما كان بحاجة إلى إطار قانونيّ، فكانت، كما رأينا، سلسلة من المؤسّسات القانونيّة والاجتهاديّة من جهة، والدستوريّة والتشريعيّة من جهة ثانية، وقد احتضنت الإرادة السياسيّة والتعاقديّة في تأسيس الوطن ودولته. فكيف لا نشدّد على أنّ كليّات الطبّ والحقوق والهندسة كانت في أساس الشروط المتعدّدة، المادّيّة منها وغير المادّيّة، الطبيعيّة والثقافيّة التي سمحت، بالإضافة إلى عمل الكليّات المسمّاة كنسيّة، للبنان أن يبرز وأن يستقرّ وطنًا ودولةً في آن؟ وكان عمل كلّيّة الحقوق في ذلك حاسمًا، ونؤكّد ذلك، بدون نيّة في التقليل من أعمال الأطبّاء والمهندسين. فَمِن رحم كليّة الحقوق في جامعتنا خرج المئات

---

(١٦) جان دوكرويه اليسوعيّ، **الدوافع الأولى في تأسيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت**، الفدراليّة الدوليّة للجامعات الكاثوليكيّة، أعمال الندوة حول الجامعة والكنيسة والثقافة : الجامعات الكاثوليكيّة في العالم (١٨١٥-١٩٦٢) المعهد الكاثوليكيّ في باريس (٢٣-٢٥ نيسان ٢٠٠١)،(http://www.fiuc.org/cms/LIVREALL/Hurtubise%202.pdf)؛ راجع ص. ١٦٧.

(١٧) مختارات من خطاب قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني الموجّه إلى مطارنة العالم بأسره في تشرين الأوّل ١٩٨٩.

من الموظّفين الكبار في القضاء كما في المرافق العامّة. وبحسب تقرير صادر عن الكلّيّة، يظهر على لائحة طلاّبها القدامى ستّة رؤساء جمهوريّة ورئيس للمجلس النيابيّ وثلاثة رؤساء حكومة وعددٌ كبير من الوزراء والنوّاب وجميع رؤساء مجلس القضاء الأعلى، وتقريبًا جميع نقباء المحامين في بيروت. وقد شغل المئات من خرّيجي كلّيّتي الهندسة والاقتصاد الوظائف في الوزارات المتعدّدة، ممّا يخوّلنا القول إنّ هذه المساهمة في الوظائف الإداريّة والقضائيّة والسياسيّة جاءت لتدعم الدولة اللبنانيّة الشابّة التي كانت تحتاج إلى هذه الكفاءات، لتثبّت ذاتها وتتطوّر في خدمة مواطنيها كافّة. وأكثر من ذلك، أولم تضطلع كلّيّة الحقوق في جامعة القدّيس يوسف، وبمؤازرة جامعة ليون بدور في ولادة الدولة اللبنانيّة؟ أولم تشكّل مهدًا للاستقلال ومساحة لبلورة فكرة الوطن اللبنانيّ؟ أولا نستطيع القول إن هذه الجامعة بالذات أيقظت هويّة الشعب اللبنانيّ النائمة؟

## (واجب الأمانة والاستمراريّة في قلب الأزمة)

**١٢**. وتفتح هذه الاعتبارات الطريق إلى الفصل الثالث من كلمتنا الذي سيتوسّع في مسألة واجب الأمانة، واستمراريّة الرسالة، والإبداع الرؤيويّ. حضرة العمداء وأعضاء الهيئة التعليميّة والإداريّة في الكلّيّات الثّلاث، لا يقع هذا الواجب على عاتق رئيس الجامعة وحده، بل يعود إليكم أن تتحمّلوا مسؤوليّته مع الرئيس وتترجموه أفعالاً وخيارات على المديَيْن المتوسّط والبعيد، آخذين بالحسبان ثوابت شرعتنا الحيّة ومبادئها الجوهريّة. ولا يمكننا في أيّ حال من الأحوال أن نفكّر في الابتكار مع الحفاظ على الأمانة، من غير أن نأخذ بعين الاعتبار الأزمة التي هزّت ولا تزال مساحتنا اللبنانيّة والشرق الأوسطيّة، والتي لا يمكن وصفها بالسياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة وحسب، بل وقبل أيّ شيء بأزمة العقد الاجتماعيّ والوطنيّ، بالأزمة الحضاريّة. ويبدو أنّ وصف الأزمة الحضاريّة الحاضرة بحسب مقاربة إدغار مورين ينطبق على واقعنا المحلّيّ والاقليميّ، عندما يؤكّد في كتابه **السبيل** أنّنا أمام "*أزمة الإنسانيّة التي لا تتوصّل إلى العبور إلى الإنسانيّة*" ... ثمَّ يزيد متابعًا "*لقد أنتج*

*الاقتصاد ثروات، كما أنتج أنواعًا خارقةً من البؤس. ويسمح عدم ضبطه بتفلّت أبشع وجوه الأنانيّة. ويضاف إلى ذلك تفاقم الأزمات المتعدّدة المتداخلة في ما بينها، كالصراعات الثنائيّة العمياء، وهستيريّات الحرب. فهجرنا إيماننا بالتقدّم. وحلّ الشكّ الهائل والفراغ الوجوديّ محلّ ثقتنا بالمستقبل (...). وتؤدّي حالة اليوم، أكثر من أيّ وقت مضى، إلى المسألة الجوهريّة المتعلّقة بتحسين العلاقات الإنسانيّة" لأنّ "الإنسانيّة تصبو دومًا إلى العيش بتناسق"* [١٨]. ويعادل هذا المشهد الشديد السواد والواقعيّ نفحة أمل تؤكّد بحسب تعبير الشاعر الألمانيّ هولدرلين "حيث *ينمو الخطر ينمو كذلك الخلاص*" [١٩]. وليس بوسعنا إلّا أن نعتنق هذا الإعلان ونضطلع به، فمضمونه يستثير إرادة جامعتنا لتشارك في عمل خلاص روح بلدنا وشعبنا، وفي عمل التغيير، والتأصُّل، وتنمية القِيَم الروحيّة والإنسانيّة المشتركة التي نحن بأمسّ الحاجة إليها.

## (إستيضاح تقليد الرهبنة اليسوعيّة في المجال التربويّ)

**١٣**. لم يزل عمل الخلاص هذا عصب رسالة جامعة القدّيس يوسف وكلّيّاتها المئويَّة الثَّلاث، وكامل مؤسّساتها. ويحملنا هذا العمل اليوم على استيضاح الرهبنة اليسوعيّة وتقليدها، وكذلك الآباء العاملين فيها، عمَّا لا يزال من الممكن أن تقدّمه تربيتهم وروحانيّتهم إلى الجامعة، وإلى مستشفاها الجامعيّ، وإلى طلاّبها وإلى مجموعة النساء والرجال، من أساتذة وغيرهم، الملتزمين والعاملين برسالتها. وأودّ أن أصغي معكم ثانيةً إلى علم من الأعلام الفرنسيّين، لويس رينيه، رئيس مجلس نقابة الاطبّاء في فرنسا، يقول ما يلي عن تربية اليسوعيّين: "*في نظر التربويّين المتمثّلين بأفراد الرهبنة اليسوعيّة، لا يمكن اعتبار التعليم من النوعيّة العالية إلاّ إذا كان مستندًا إلى أساس من التفكير يسمح بإقامة تدرّج بين القِيَم: فليس المقصود صياغة قواعد صارمة، أو معايير أو "لوائح قوانين"؛ أو توزيع*

---

(١٨) نصّ محاورة إدغار مورين معلّقًا على كتابه بعنوان **السبيل**، يراجع موقع Psychologies.com.

(١٩) تعبير للشاعر هولدرلين يذكِّر بما جاء عند معاصره الفيلسوف هيغل من جدليّة.

*وصفات أو تبرير مبادئ. فالمقصود تعلّم التفكير في آثار البيئة الثقافيّة والاجتماعيّة، وتعلّم الحفاظ على روح نقديّة إزاء الضغوطات الاقتصاديّة والإيديولوجيّة؛ وتعلّم الإجابة عن تعدّديّة قِيَم مجتمعنا*"(٢٠). وبتعبير آخر، على حدّ قول الأب بيتر هانس كولفنباخ، الرئيس العامّ الأسبق لليسوعيّين "*تؤدّي مؤسّساتنا مساهمة أساسيّة إلى المجتمع عندما تدرج في مسارنا التربويّ دراسة صارمة وشريفة للمشاكل والهموم جميعها التي تعتبر حاسمة للإنسان. ولهذا السبب يجب على جامعات الرهبنة أن تصبو إلى مستوى أكاديميّ عالي النَّوعيّة*" (٢١). أن نعطي مئويّاتنا الأهميّة يعني أن نتذكّر رسالتنا التربويّة والروحيّة، وخصوصيّتنا التعليميّة، وذلك بأن نكون قريبين من طلاّبنا، في سبيل تطبيق *المقاربة الفرديّة*، أيْ العون لكلّ طالب حتّى يبلغ كمال النجاح النوعيّ، كما تذكّر به التربية اليسوعيّة. فكلّنا مدعوّون، في قلب الجهد المبذول، إلى تجديد التعليم الجامعيّ في إطار مسار بولونيا، إلى أن نستوحي من هذه التربية اليسوعيّة القائمة في مناطقنا منذ أربعة قرون.

## (عدم الرضوخ أبدًا للشَّدائد، قانون الحدود، بيروت "نجمة لبنان")

**١٤**. وستقود عمل الخلاص هذا إرادة بعدم الرضوخ للشدائد. والحقيقة أنّ جامعة كجامعتنا قد تأسّست العام ١٨٧٥ لمواجهة الحروب والموت، على أثر أحداث العام ١٨٦٠ الأليمة وعواقبها. فلا الحرب العالميّة الأُولى ولا الحرب العالميّة الثانية ولا الحروب الداخليّة والخارجيّة تمكّنت من زعزعة بناء جامعة القدّيس يوسف الداخليّ. بالأمس كانت منطقة المتحف وطريق الشام حقل خراب، بالأمس كان هذا الحرم هيكلاً عظميًّا، وكان شارع هوفلان منطقة محفوفة بالمخاطر. وكان الحَرَم الطبّيّ الذي يحيي هذه السنة مئويّته الأولى، كما كانت كلّيّة الطبّ، وكلّيّة الحقوق، والمدرسة العُليا للهندسة في بيروت، تمثّل

---

(٢٠) جان دوكرويه، **قرن من التعاون الفرنسيّ– اللبنانيّ في خدمة مهن الطبّ**، منشورات جامعة القدّيس يوسف، ١٩٩٢، ص. ٤.

(٢١) بيتر هانس كولفنباخ، "الجامعة اليسوعيّة في ضوء الجاذبيّة الإغناطيّة"، كلمة الأب بيتر هانس كولفنباخ، الرئيس العامّ للرهبنة اليسوعيّة في الاجتماع العالميّ عن التعليم العالي اليسوعيّ، ٢٧ أيّار ٢٠٠١.

جميعها آنذاك، كما تمثّل اليوم، جامعة القدّيس يوسف خير تمثيل. لقد حدثت عمليّات تهديم، ومرّت حقبات فراغ، وحصلت حركات نزوح، واستشهد عدد من أفراد أسرة الجامعة، غير أنّ الدوافع العميقة لم تحد عن مسارها، بل اقتضى فقط تكييفها. ويدعونا هذا إلى القول إنّه، عندما تكون الرؤيا حاضرة، يصبح الدافع أقوى ويضاعف طاقتنا. واليوم استعادت هذه الأبنية، بفضل عمل اليسوعيّين والمسؤولين المدنيّين، رسالتها مساحةَ معرفةٍ وتعلّم. بالأمس كانت منطقة طريق الشام منطقة انفصال، وغدت اليوم، وأتمنّى على الدوام، محور اللقاء وتبادل الحقيقة، والحوار والدافع إلى العيش معًا. وتستحقّ بيروت التي اختارها اليسوعيّون ليؤسّسوا أُولى كليّاتهم المدنيّة، وهي تشكّل أعمدة الإنماء الإنسانيّ والاجتماعيّ، أن نحبّها وننمّيها، لتدعم وجود لبنان رسالةَ سلام وحريّة، وعيش مشترك وعدالة. وبالنظر إلى *لبنان الذي غدا، على حدّ قول "أحد المحلّلين"، ملعبًا دمويًّا في ذروة التسلّح، والذي ضحّى بالمصلحة العامّة في سبيل المصالح الخاصّة والسياسيّة، الوطنيّة منها أو الخارجيّة او الزبائنيّة*"[٢٢]، لماذا لا تعود بيروت "*أصل الحياة، ومرضعة المدن، ونجمة لبنان*" كما كان يسمّيها بتعبير تفخيميّ نونوس المصريّ اليونانيّ، مؤلّف الأفروديّات في القرن الخامس[٢٣]؟ وببساطة، نحن مصمّمون، أكثر من أيّ وقت مضى، على الصعيد الأكاديميّ، على أن نساهم في أن تبقى بيروت، إحدى الملكات العظيمات على شاطئ البحر المتوسّط، ملكة الثقافة، أميرة تجمّع ولا تفرّق، مثالاً للعدالة ولفرح الوجود والتعلّم معًا. نعم بيروت هي نجمة لبنان وستبقى نجمته، بفضل مساهمة كلّ مواطن من مواطنيها، ولكن، بالإضافة إلى ذلك، بفضل استمرار رسالتنا الجامعيّة، رسالة كلّيّة الطبّ وكلّيّة الحقوق وكلّيّة الهندسة.

---

(٢٢) فاليري راسبلوس، عالم اجتماع، **الجغرافيا السياسيّة للأزمة اللبنانيّة**، على Huffington post، ٢٠١٢/١٠/٢٢.

(٢٣) نونوس دو بانوبوليس (من اليونانيّة القديمة *Nónnos* / Νόννος) وهو شاعر يونانيّ ولد في بانوبوليس، بمصر، في القرن الخامس الميلاديّ. وقد اشتهر في ترانيمه الـ ٤٨ **الديونيزياك**، عن أسطورة ديونيزيوس.

ويجب على الاحتفال بالمئويّة أن يحثّنا على التفكير والتساؤل: كيف لكلّيّة طبّ قائمة في قلب بيروت والشرق الأدنى أن تصبح مع سائر كلّيّات الصحّة في جامعة القدّيس يوسف، ومع أوتيل ديو دو فرانس، والمعهد العالي للصحّة العامّة الذي سيبصر النور في غضون بضعة أشهر، أن ترفع التحدّي المتمثّل بإنشاء قطب يتمتّع بالجودة والنوعيّة، وأن تنسج من حولها شبكة للصحّة اللبنانيّة جديرة بأن تشعّ في الشرقَين الأدنى والمتوسّط؟ وانطلاقًا من قوّتها المستمّدة من طلاّبها القدامى البالغ عددهم ستّة آلاف، ومن ريادتها في التعليم وفي استعمال التقنيّات الجديدة، ستنشئ كلّيّة الطبّ قريبًا نظامًا تعليميًّا ثوريًّا قائمًا على التعلّم الرقمي فتبقى هكذا قلب هذا المشروع ومحرّكه.

ولا تزال كلّيّة الهندسة، المتّكئة على خرّيجيها البالغ عددهم سبعة آلاف، تتجدّد وتتكيّف مع متطلّبات المهنة وسوق العمل. وسيكون شهر أيلول المقبل موعدًا مهمًّا في مسارها، وستعطي مثالاً مميّزًا بإنشاء أوّل شهادة ماستر في ميدان النفط والغاز باللغة الإنكليزيّة، ولكن في إطار ثقافيّ فرنسيّ بدعم من معهد البترول الفرنسيّ والعملاق الدوليّ توتال. ويقودني هذا إلى القول إنّ هذا المشروع لا يعتبر بأيّ شكل من الأشكال خيانة للغة الفرنسيّة التي تتمسّك بها جامعتنا التي أرادت ولا تزال أن تكون دعامة مستمرّة للفرنكوفونيّة، بل هو تطبيق للتعدّديّة اللغويّة التي تشكّل قيمة من قِيَم الفرنكوفونيّة، ممّا يسمح للمؤسّسة الفرنكوفونيّة ألاّ تنغلق على نفسها، بل أن توسّع جمهورها وتساهم في إشعاع قِيَمها.

أمّا كلّيّة الحقوق فأنشأت في حرمها، لمناسبة هذه المئويّة، أكاديميّة باسم *بيروت أمّ الشرائع*، لكي تطبع ديمومتها الحميمة مع بيروت، أمّ الشرائع، وتتابع عمل المدرسة القديمة الجبّار. وقد أنجزت الكلّيّة للتوّ *القانون المدنيّ باللغة العربيّة* للمناسبة ذاتها، كما كانت السبّاقة، بين مؤسّسات الجامعة، في تأسيس فرع لها في دبي، مساهمةً بذلك في إنجاز رسالة جامعتنا في المنطقة المحيطة بنا.

وإذا كانت الجامعات مصدر ثروات للوطن، فإنّ جامعتنا وهبت لبنان نفسها واغتنت به وبهذا العدد الكبير من أجيال الخرّيجين القدامى الآتين من المناطق اللبنانيّة المتعدّدة، وحتّى من البلدان الأجنبيّة، لينجزوا إعدادهم الجامعيّ فيها. ولكَم أنا مستعجل لأرى خرّيجي جامعة القدّيس يوسف البالغ عددهم ٤٧٠٠٠[٢٤] منخرطين أكثر فأكثر في حياة الجامعة ومؤسّساتها كافّة، قوّةً خلقيّة، فكريّة وماديّة، كمثال إيجابي للأجيال القادمة إلى جامعة القدّيس يوسف. وينبغي، أكثر من أيّ وقت مضى، على خرّيج جامعة القدّيس يوسف، عندما يغادر حضن "الأمّ التي أرضعته"، كلّيّته أوْ معهده، ألاّ يحصل على شهادة نوعيّة فحَسْب، بل أن يتمكّن من التعبير عن عرفان الجميل تجاه جامعته ومن أن يقول لنفسه: "هنا كنتُ محطّ احترام، هنا اكتسبتُ مهنتي، في هذه الجامعة نسجت صداقات والتقيت أساتذةً طبعوني، هنا تعلّمتُ كيف أفكّر، أن أميّز بين الأمور وأن أبدي حكمًا صائبًا".

**(إلتزام في سبيل لبنان متحرّر من قيوده وفي سبيل لبنانيّة أبنائه)**

**١٥**. وسيُنجز عملنا في سبيل الخلاص على يد جامعة القدّيس يوسف، وسيُهدى إلى لبنان، وهو للأسف، ونظرًا إلى ممارسة السياسة الضيّقة، في طور أن يصبح ظلّ نفسه. وثمّة في هذا الاتّجاه ثقافة انتهازيّة متلاعبة بالدِّين والسياسة تشوّه المعنى الحقيقيّ السياسيّ للنظام الطائفيّ، وتجعل منه عيبًا في الوقت الذي عليه أن يكون رافعةً للعيش المشترك حامي الكيان اللبنانيّ. وهذا الانحراف يشجّع الفساد الشامل الذي أصبح مبدأً وأساسًا، في حين أنّه نتيجة لا غير. فحيث تنمو الطائفيّة المنحرفة عن غايتها، يتراجع الدِّين ويتحوّل إلى مشكلة سياسيّة، ويضعف الإيمان بالله وبالإنسان. فعلى كلّيّة الحقوق ومعهدها للعلوم السياسيّة اليوم واجب التفكير في الوقائع الحقوقيّة والاجتماعيّة لتشريعٍ وفكر سياسيّ متجدّدَيْن، كما التفكير في قوى دفع من شأنها أن تقودنا إلى وجهة أشدّ أمانًا. وعلى

(٢٤) ليس لدينا إحصاءٌ شامل لخرّيجيّ جامعة القدّيس يوسف، فما نقترحه هو من باب التقدير.

الطبّ والهندسة أن يعملا بابتكار وحذر لمرافقة لبنان بجديدهما، وحماية صحّة الناس من جهة وبيئتهم الطبيعيّة من جهة ثانية وفق القوانين الخلقيّة الآمنة.

وإن شئنا أن نقوم بدور رافعة للخلاص، فعلينا التفكير في المعنى الذي سيحمله عملنا، وفي الحظوظ جميعها التي علينا أن نؤمّنها للبنان في سبيل إعادة الحياة والخروج من الأزمة. ويمكن لبنان متمتّعًا بالقوّة أن يصبح نموذجًا مناسبًا لعدد كبير من البلدان المحيطة بنا والتي تتخبّط في أزمات ستكون كارثيّة عليها. لذلك يجب علينا، في موازاة متابعة التفكير في الحاجات المتعدّدة، أن نحاول إعادة بثّ نفس جديد في "لبنانيّة اللبنانيّين"[٢٥]، هذا المفهوم المتأصّل في التاريخ، والذي نعيشه فعلاً مكوّنًا للأفراد ولمجموعة المواطنين اللبنانيّين. وهذا المفهوم ليس مناهضًا للعروبة بل هويّة منفتحة لتقاسم القِيَم الأساسيّة بروح التكامل والتضامن. فإعادة صياغة فكرة لبنانيّة اللبنانيّين وتكييفها مع الواقع، ينبغي أن تتجاوز الدائرة السياسيّة لمحاولة شحذ الطاقات، فتنادي عاليًا بالإجماع على ما يجمعنا: الهويّة اللبنانيّة في التنوّع، والحريّة، والمساواة والعدالة. وتشكّل لبنانيّة اللبنانيّين هذه سفينة الخلاص للبنانيّين جميعهم ولكلّ مواطن لبنانيّ بمفرده. وبوسع هذه الفرادة اللبنانيّة التي صُقلت بمائة عام تقريبًا من الحياة معًا، – وهو عمر كلّيّاتنا الثلاث – من النجاح والفشل، من الانتصارات والمآسي، من الاعتزاز والإذلال، أن توحّد بقوّة مميّزة رجال هذه الأرض ونساءها، وتزيل انقساماتهم، وتبلسم جراحهم، وتبقيهم معًا، كما أبقتهم في السابق، بالرغم من العواصف والشدائد. وهي تعبّر خير تعبير عن قِيَم الاحترام المتبادل، والديموقراطيّة الفريدة، والتسامح والمحبّة، والتمرُّد في مواجهة الغزاة، وكلّها قِيَم يشترك اللبنانيّون جميعهم في الالتزام بها. وهي تعبّر كذلك عن تعلّقهم الصلب الثابت بالحريّة التي يشعرون بها ويعيشونها قيمةً عُليا، وبالحريّات الأساسيّة، وبحقوق الإنسان. كما تعبّر عن

(٢٥) يُعتبر شكري غانم (١٨٦١–١٩٢٩) الصحافيّ، والباحث، والشاعر المسرحيّ، من أوائل المناضلين في سبيل لبنان المستقلّ، وفي سبيل القضيّة العربيّة، ومن أوائل المفكّرين الكبار الذين ابتكروا مفهوم لبنانيّة اللبنانيّين. وهو مفهوم لا يمكنه أن يَنْمو في رأيه، إلاّ في إطار عربيّ ثقافيّ ووطنيّ، على حدّ سواء.

تعلّقهم بمجموعة من القِيَم الاجتماعيّة والثقافيّة المتمثّلة بالتضامن في أثناء المحن، وبتصرّف حياتيّ نابع عن حسن الضيافة والكرم، وبلغة هذّبتها حكمة الحياة، هي نقيض لغة منحطّة تُستعمل في بعض التصرّفات السياسيّة المشحونة؛ وهي قِيَم سمحت لهم بالتغلّب على الشدائد العصيبة التي امتحنتهم في القرن العشرين، وبالبقاء على قيد الحياة في سبيل التحضير لمستقبل أفضل.

**(محاربة الإفلات من العقاب وتقويم الأمور)**

**١٦**. وبقدر ما يُعتبر عمل الخلاص هذا ضروريًّا يبدو في الوقت عينه صعب المنال، لأنّ الإفلات من العقاب غدا كارثة لا تهدّد بالانهيار النظام السياسيّ فحَسْب، بل أسس مجتمعنا بالذات. فهدر الموارد العامّة واستثمار مؤسّسات الدولة بطريقة غير شرعيّة في سبيل المصالح الخاصّة والفئويّة والقذرة تنهش عمق الحياة الاقتصاديّة في البلد. وينشر الإفلات من العقاب شعورًا بالظلم، والانتفاض والعبثيّة لدى أكثريّة من المواطنين الذين يحترمون القوانين ويقبلون بمعايير الحياة المشتركة. وتجد العدالة نفسها، إزاء هذه التحدّيات، محرومة من وسائل التحرُّك، وهذا ما يقود المؤسّسة الوطنيّة إلى الانهيار، إن بقيت الأمور على حالها طويلاً. وأمام هكذا مشهدٍ، يجب على جامعتنا المعروفة بموضوعيّتها ورصانتها ومقاومتها، أن تبقى مثال المؤسّسة التي تعرف كيف تؤنّب وتعاقب، كما تعرف كيف تثمّن وتكافئ، عملاً بالضمير وبأبسط القوانين الخلقيّة. "*فلا دولة بدون تضحيات*"، على حدّ قول شارل ديغول، في كلمته الموجّهة إلى خرّيجي جامعة القدّيس يوسف العام ١٩٢٦: "*فمن الثابت أنّ الدولة اللبنانيّة انبثقت كذلك من التضحيات*"[٢٦].

(٢٦) أعاد الأستاذ هنري العويط نشر النصّ، وعلّق عليه في مجلّة الجامعة *USJinfo*، تمّوز ٢٠٠١، ص. ٥.

**١٧. خاتمة:** في نهاية هذه الأفكار في مئويّاتنا الثلاث، لا شكّ في أنّ أوّل أمثولة نستخرجها تبيّن لنا أنّ ذكريات الميلاد هذه ليست مجرّد نزهة في الماضي، بل هي مثقلة بالنتائج المؤثّرة في مستقبل الكلّيّات المعنيّة، وفي مستقبل الجامعة بكاملها. فلا شكّ في أنّه يترتّب علينا أن نعمل على إنجاز ما عرضناه بشكل نوايا، وأن نتذكّر أنّ رجال الفكر في الجامعة يحضّرون رجال الفعل بدون أن يحلّوا محلّهم. غير أنّ الموارد البشريّة الحقّ هي بالتأكيد التي تعرف كيف توفّق بين الفكر والكلام والعمل، وتساهم هكذا في بناء إنسان الغد. ويحرّك هؤلاء الرجال والنساء الرجاء، تلك الطاقة الداخليّة التي تجعلنا نقول إنّ المستقبل وعد، وإنّنا نستطيع معًا ترجمة الرجاء إلى أعمال منظورة. ويعني هذا أنّ الرجاء، بحسب فلسفة مارك بلوخ[٢٧]، يستلزم مسؤوليّة كلّ فرد، فيدعوه، حيث هو، إلى الايمان بهذه الرسالة، وإلى تطبيقها بروح المشاركة. وتُترجم هذه المسؤوليّة بثلاثة أهداف، أوّلها يقوم على إعطاء أنفسنا وسائل الإجابة عن طلبات لا تُحصى ولا تُعدّ صادرة عن تلاميذ وطلاّب لامعين ومتميّزين يقرعون باب جامعتنا، وبالأخصّ هؤلاء الذين يأتون من المناطق البعيدة أوْ من قطاع التعليم العامّ، أوْ من عائلات لا تستطيع دفع الأقساط المطلوبة، وهم يصرّون على متابعة دروسهم في جامعة القدّيس يوسف وعلى التخرّج منها، فخورين بالانتماء إليها "أمًّا مغذّيةً" ومشكّلين مدعاة فخر لها. لذلك من الضروريّ الإيمان بإكسير التضامن بين الجامعة وأصدقائها وطلاّبها القدامى لتحقيق هذا الهدف، علمًا بأنّ الحاجات جدّ ضخمة وبأنّ جامعة القدّيس يوسف لا تملك ما يسمح لها بسدّها، غير أنّ كل شيء يصبح ممكنًا، بفضل الضمير التضامنيّ.

---

(٢٧) مارك بلوخ فيلسوف إنسانيّ اشتهر بكتابه الضخم وهو من ثلاثة أجزاء، الذي كرّسه لمبدأ **الرجاء وعلاقته بالمسؤوليّة**، ٨ تمّوز ١٨٨٥ – ٤ آب ١٩٧٧.

أيّها الاصدقاء، غالبًا ما يقود الهدف الأوّل إلى هدفٍ آخر، فهدفنا الثاني نريده لمجد بلدنا ولذلك العدد الضخم من الرسّامين والنحّاتين والفنّانين اللبنانيّين الآخرين، الذين يستحقّون متحفًا يجمع ويعرض على أرض جامعة القدّيس يوسف، في استمراريّة روح داود قرم الجماليّة، وفي قلب بيروت بالذات، تجاه المتحف الوطنيّ اللبنانيّ، أعمالهم الأوسع شهرة ولوحاتهم الأشدّ تمايزًا. وسيشيَّد هكذا في أثناء بضع سنين، بفضل مبادرة مجموعة رجال ونساء آمنوا بمشروع متحف الفنّ اللبنانيّ المعاصر والحديث.

ويندرج الهدف الثالث في خانة الأخلاق، ولكنّه واقعيّ: فإذا كانت جامعة القدّيس يوسف قد بنيت تدريجيًّا بواسطة كلّيّات ومعاهد استجابة لحاجات، وإذا كانت المعاهد طالبت باستقلاليّتها عن طريق الإجراءات والمراجع الخاصّة، أرغب اليوم في أن أشدّد على أنّ خلاصنا ومستقبلنا، وإن استمرّينا في احترام كلّ مؤسّسة من مؤسّساتنا، لن يتحقّقا إلاّ عن طريق اسم ننتسب إليه جميعًا، وهو اسم جامعة القدّيس يوسف، وعن طريق سياسة معمّقة في الشراكة الأكاديميّة والتربويّة. فنحن جامعةٌ لنا أن نكبر، ولكن يجب أن نبقى على واقعيّتنا، جامعة بحجم البشر يشعر فيها كلّ واحد، أمعلّمًا كان أم طالبًا أم موظّفًا، رجلاً أم امرأة، بأنّه محترم في خصوصيّته وغناه ضمن إطار جماعة متّحدة ومتضامنة. فانطلاقًا من هذه الوحدة يمكننا أن نشعّ وأن نحقّق هدفنا الأسمى وهو رسالة التربية وإعداد الاجيال الطالعة.

أصحاب السّعادة، السيّدات والسّادة، إنّ الزمن يبدو قصيرًا، حتّى لو بلغ ١٠٠ أو ثلاثين بعد المائة في تاريخ مؤسّسة كمؤسّستنا. ما قبل الأمس، كان الكبير جورج نقّاش يقول: "*قد يكون من الغباوة القول إنّ لبنان ما كان ليكون لولا جامعة القدّيس يوسف؛ ولكنّه من المستحيل نوعًا ما أن نتصوّر ما كان سيكون عليه شكل لبنان الآخر لولا وجود جامعة القدّيس يوسف*"[٢٨]. وكان نبيه برّي يردّد صدى هذه الصرخة عندما أعلن مؤخّرًا أمام وفد

(٢٨) إقتباس من خطاب جان دوكرويه بتاريخ ٢ شباط ١٩٩١. راجع جان دوكرويه، **الجامعة والمدينة**، ص. ٣٠٥-٣١٠.

من جامعة القدّيس يوسف: " *لا يمكنني أن أتصوّر ما كان سيكون مستقبل بلدنا لولا الدَوْر الذي أدّته الجامعة الاميركيّة وجامعة القدّيس يوسف في بيروت*[٢٩]". ففي الماضي القريب والبعيد، كانت جامعة القدّيس يوسف مثالاً في المقاومة الأكاديميّة والثقافيّة والروحيّة، عندما أرادت أن تتابع ما تأسّست له من خدمة البلد، الذي كان فريسة كلّ المشاكل، وهي كانت كذلك وستكون دومًا، لأنّها عرفت وستعرف أن تصغي إلى صوت المجتمع المحلّيّ. واليوم علينا أن نتابع الإصغاء إلى صوت شعبنا الذي تشكّل له التربية المدرسيّة والجامعيّة رأسمالاً هو في أساس ثروتنا الوطنيّة، وفي أساس قدرتنا على إعادة خلق الواقع وتبديل الحالات التي لا يمكن تحمّلها. فمن أجل طلاّبنا ومعهم، ومن أجل شعبنا ومن أجل منطقتنا العربيّة، فلنراهن معًا على قدرة الروح والعقل والقلب كي تبقى جامعة القدّيس يوسف كفيلة التميّز والأخلاقيّات والمواطنة، وكي تحمل دومًا حَمِيَّة الشبيبة والإيمان والرجاء.

---

(٢٩) وقد تمّ هذا اللقاء في تشرين الثاني ٢٠١٣.